عروض الكتب والندوات

أثر منظمة شنغهاي للتعاون على تحقيق الاستقرار في آسيا الوسطى (٢٠١٠-٢٠٢٠)

عبير البتاتوني
ماجستير اقتصاد إسلامي

رسالة دكتوراه: أثر منظمة شنغهاي للتعاون على تحقيق الاستقرار في آسيا الوسطى (٢٠١٠-٢٠٢٠)

إعداد: سليمان مهدي محمد

إشراف: أ.د/ أحمد النادي

عميد كلية الدراسات الآسيوية العليا جامعة الزقازيق

ا.د/ حسن محمد الظاهر

أستاذ العلوم السياسية بجامعة الإسكندرية

التاريخ : يوليو ٢٠٢٣

مقدمة:

شهدت الساحة الدولية خلال العقود السابقة ظهور تكتلات إقليمية ودولية عديدة، حتى أصبحت سمة مميزة للنظام العالمي المعاصر، فتكاد لا توجد دولة الا وقد انضمت الى منظمة إقليمية او دولية تعكس مصالحها واهتماماتها، ومن بين كل المنظمات الدولية والإقليمية التي لمعت اخيراً على الساحة الدولية هي منظمة شنغهاي للتعاون، والتي تضم ٨ دول لا يستهان بها من النواحي الجيوستراتيجية او الديموغرافية او العسكرية، حيث أصبحت هذه المنظمة ذات كيان قانوني مستقل عام ٢٠٠١، حيث كان الهدف من انشاءها هو توثيق التعاون وتنسيق

العلاقات بين دولها في مختلف المجالات لا سيما الأمنية والاقتصادية، والاهتمام بالدفاع عن مصالحها وعن كيانها الإقليمي، فهي توفر فرص للتعاون بين الاطراف لتنسيق المصالح المتباينة لتحقيق الاستقرار الإقليمي.

تدور إشكالية الدراسة في تساؤل رئيسي مفاداه: كيف أثرت منظمة شنغهاي للتعاون في تحقيق الاستقرار في منطقة آسيا الوسطى؟، وذلك في ظل الأهمية الإقليمية والدولية التي باتت تلعبها منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي في منطقة آسيا الوسطى خاصة ومنطقة اورآسيا بشكل عام، حيث التقارب مع دول المنطقة وتعزيز علاقات التعاون بينهم، والتمدد الذي تحاول فرضه في المنطقة لصالح التحول الاستراتيجي الذي تحاول فرضه في النظام الدولي، وبالتالي سد النقص الواضح في المكتبة العربية فيما يتعلق بمنظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي ودورها البارز خلافاً لدورها الدولي ومحاولتها التمدد من أجل انتزاع مكانة متميزة في النظام الدولي – وذلك من ناحية الأهمية العلمية، وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المناهج البحثية كمنهج تحليل النظم، ومنهج دراسة الحالة، والمنهج الاستشرافي من أجل الوصول الى تفسير علمي منهجي يبحث خطة الدراسة ويجيب على تساؤلاتها ويحقق الاهداف العامة للدراسة، والتي تتمثل أبرزها في: التعرف على اثر منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي في منطقة آسيا الوسطى، ومعرفة مواقف القوى الإقليمية والدولية من منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي، والوقوف على محددات وافاق منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي، ومحاولة استشراف مستقبل منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي.

وقد تناول الباحث أيضًا عدد من الأدبيات السابقة، والتي اتفقت في أن منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي وفي ظل المتغيرات الإقليمية والدولية سوف تثبت مكانتها وتكون صاحبة شأن في مستقبل النظام الدولي، كما أوضح الباحث أن ما يميز تلك الدراسة عن غيرها في انها تركز على الدور الإقليمي الذي أنشأت من أجله منظمة شنغهاي

للتعاون، في سياق التكامل الإقليمي الذي تحاول المنظمة تحقيقه في ظل عدد من المهددات المحلية والإقليمية داخل الدول او بينها، بالإضافة الى ان الدراسة حاولت التنبؤ بمستقبل منظمة شنغهاي للتعاون في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية، عدا عن المرحلة الزمنية التي تشملها الدراسة والتي امتدت حتى عام ٢٠٢٠.

تناول الفصل الأول: المنظمات الإقليمية – منظمة شنغهاي للتعاون، حيث ناقش هذا الفصل المنظمات الإقليمية من حيث النشأة والتطور والاهداف المتعلقة بخصوصية كل منظمة، بالإضافة الى تأثير المنظمات الإقليمية في النظام الدولي وسياساته، كما يبحث هذا الفصل نشأة منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي وتطورها والدول الأعضاء فيها وما تملكه هذه المنظمة من امكانيات استراتيجية وعسكرية واقتصادية هائلة. وقد قسمه الباحث إلى مبحثين؛ فتناول المبحث الأول: المنظمات الإقليمية، حيث أكد الباحث أن الأساس والمعيار الثابت لتكوين المنظمات الإقليمية يبدأ من الجغرافيا كمحدد أساسي لتكوين هذه المنظمة وفقاً لتعريفات يجمع عليها معظم علماء السياسة الجغرافية ومتغيرات الواقع الدولي خلال القرنين الماضيين، نظراً للمصالح والارتباطات المتوافقة في شأن معين، او مجموعة دول متقاربة في الخصائص الاقتصادية او السياسية او الدينية؛ أما المبحث الثاني: منظمة شنغهاي للتعاون ونشأتها ومسار تطورها، وقد توصل الباحث إلى أن المنظمة مضت قدماً في إضفاء الطابع الرسمي والقانوني، وقامت بتعزيز النهج متعدد الاطراف للأمن الإقليمي من خلال اجهزتها المختلفة، وهذا مؤشر على زيادة التعاون وتعزيز المصالح المشتركة مما يعطيها جانباً مشرقاً في مجالات عديدة ومتنوعة واكثر تميزاً، ولتأكيد ذلك قدم ميثاق المنظمة مبادئ اساسية ساعد في تعزيز مكانتها وتأكيد حضورها إقليميا ودولياً.

واستعرض الفصل الثاني : آسيا الوسطى – المكانة الدولية ومهددات الاستقرار، وذلك نظراً لما تتمتع بها المنطقة من أهمية جيوسياسية

واستراتيجية واقتصادية عظيمة، وازدادت أهميتها مؤخراً ارتباطاً بعدد من العوامل المتمثلة بالتطورات الأمنية التي تشهدها افغانستان، واستعادة طالبان للكثير من نفوذها، وانعكاس ذلك على أمن دول آسيا الوسطى، اضافة الى أهمية مواردها الطبيعية خاصة النفط والغاز، فضلاً عن صراع النفوذ بين القوى الكبرى لاستغلال المنطقة تحقيقاً لهداف كل منها، وما تعانيه المنطقة من تصاعد وتهديد متواصل للأمن والاستقرار، سواء ما ارتبط بتهديدات الارهاب، او تنافس القوى الكبرى، او المتعلقة بالصراعات الاثنية ومشاكل اللاجئين والحركات الانفصالية، وعليه، قسم الباحث الفصل إلى ثلاثة مباحث، فتناول المبحث الأول: الأهمية الاستراتيجية والجيبولوتيكية لمنطقة آسيا الوسطى، حيث تعد منطقة آسيا الوسطى من المناطق التي اكتسبت أهمية بالغة على صعيد السياسة الدولية، لاسيما ان البعض عدها بمثابة المرتكز الجيوستراتيجي للسيطرة على العالم. أما المبحث الثاني: استراتيجية القوى الإقليمية والدولية في آسيا الوسطى، حيث أدى تفكك الاتحاد السوفييتي الى جعل المنطقة هدفاً للمنافسة والصراع بين القوى الإقليمية (تركيا - إيران) والقوى الدولية (الولايات المتحدة – الصين - روسيا) التي ارتبطت بأهمية المنطقة وموقعها الاستراتيجي، فضلاً عن وجود احتياطات النفط والغاز وخطوط انابيب نقل الطاقة، أما المبحث الثالث: مهددات الاستقرار في آسيا الوسطى، والتي تتمثل في الانحصار الجغرافي، والثقافة والهوية والتعددية الإثنية، والخلافات الحدودية، وكذلك أزمات اللاجئين والإرهاب.

وتناول الفصل الثالث الأثر الإقليمي لمنظمة شنغهاي للتعاون في تحقيق استقرار منطقة آسيا الوسطى، حيث تمتلك منظمة شنغهاي القوة والتأثير ما يجعلها تفرض نفسها على الإقليم الاوراسيوي والعالم مستقبلاً، فضلاً عن قدرتها على القيام بدور فاعل في المعادلات الدولية وحل الازمات السياسية والاقتصادية في آسيا الوسطى، بفضل الثقل الجيوسياسي والاقتصادي الذي تمتلكه الدول الأعضاء، وعليه،

قسم الباحث الفصل إلى ثلاثة مباحث؛ تناول المبحث الأول: المؤشرات الاقتصادية، حيث تقدم منظمة شنغهاي للتعاون نموذجاً غير تقليدي للتكامل الاقتصادي، فهي تعمل على تعميق الروابط التجارية والاقتصادية وترابط اسواق رأس المال، أما المبحث الثاني: المؤشرات الأمنية، حيث لعبت افرازات البيئة الأمنية الجديدة التي اعقبت تفكك الاتحاد السوفييتي دوراً مهماً في قيام منظمة شنغهاي للتعاون، فبالإضافة الى المخاوف المشتركة التي يشكلها الارهاب والحركات الانفصالية في المنطقة، هناك خشية من تصادم دول المنطقة حول مسائل الحدود الخلافية، وهناك مخاوف من هيمنة صينية او روسية على دول المنطقة، اضافة الى تصاعد مخاوف خصوم الولايات المتحدة النابعة من توسع حلف الناتو شرقاً، ومن تواجده العسكري في وسط آسيا، والذي ينظر اليه كمحاولة أمريكية لتطويقهما، أما المبحث الثالث: المؤشرات السياسية، حيث يتحدد دور منظمة شنغهاي في احتواء التنافس الإقليمي بين دول المنطقة وتعميق التشابك الإقليمي بين دول المنظمة وصولاً لحالة الاستقرار.

واستعرض الفصل الرابع تحديات ومستقبل منظمة شنغهاي للتعاون، وقد تناول هذا الفصل التحديات التي تواجه منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي وآفاق تطورها وتوسعها في ظل الظروف الدولية المحيطة بالمنظمة ومنطقة اوراسيا عامة، بالإضافة الى مواقف القوى الدولية والإقليمية من بروز منظمة شنغهاي وتطورها وتوسعها، كما تحاول الدراسة في هذا الفصل استشراف مستقبل منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي على المدى القريب والمتوسط. حيث قسم الباحث الفصل إلى ثلاثة مباحث؛ فتناول المبحث الأول: مواقف القوى الإقليمية والدولية من منظمة شنغهاي، حيث غالباً ما يتم تصوير منظمة شنغهاي للتعاون على أنها كتلة معادية للغرب بطبيعتها، حتى أن البعض يصفها بأنها مناهضة لحلف شمال الاطلسي، ومع ذلك أدت الاختلافات بين الدول الأعضاء الفردية الى تقييد تنسيق سياسة الكتلة والتكامل

الإقليمي منذ إنشاءها، أما المبحث الثاني: افاق وتحديات منظمة شنغهاي في ظل موازين القوى الدولية والإقليمية، حيث أمام المنظمة مجموعة من التحديات التي تفرض عليها مزيداً من التعاون والتوافق من أجل تجاوزها وتحقيق الاهداف العامة للمنظمة، فعلى الرغم من التقارب الجغرافي للدول الأعضاء، الا أن التنوع في اللغة والمصالح القومية والثقافة وما يسببه من بطئ في عملية تنمية المنظمة، إضافة الى عدد من العوامل الاخرى والتحديات التي تعصف بالمنظمة، في حين تناول المبحث الثالث: مستقبل منظمة شنغهاي للتعاون «سيناريوهات مستقبلية»، وفيها تناول الباحث سيناريوهين لمستقبل المنظمة، حيث تناول السيناريو الأول تحول منظمة شنغهاي للتعاون الى منظمة ذات وزن دولي فاعل، أما الثاني فتمثل في بقاء منظمة شنغهاي قطب إقليمي اوراسي فاعل.

وفي ختام الدراسة أشار الباحث إلى أن منظمة شنغهاي للتعاون والتي بدأت بأهداف متواضعة وبالرغم من مرور ما يقارب عشرون عاما على انشاءها لم تتحول الى حلف عسكري أمني، الا أن اغلب الملاحظين يرون أن التطور الهائل الذي حدث في المنظمة هو تحولها الى منتدى لمناهضة الولايات المتحدة الامريكية، واحلال نوع من التوازن الإقليمي يضمن لكل من روسيا والصين بالدرجة الاولى والأعضاء الاخرين فيها مصالحه، خاصة في ظل التوافق في الرؤى بين القطبين الرئيسين الصين وروسيا حول مصالحهم المشتركة في آسيا الوسطى، والذي يبدأ بتحقيق الاستقرار والازدهار في آن واحد في المنطقة، لتصبح اكثر مناهضة بعد انضمام كل من الهند وباكستان وإيران الى المنظمة.

كما توصلت الدراسة الى عدد من النتائج على أهمها التالي:

- تلجأ الدول الى زيادة قوتها كماً ونوعاً من خلال سياسة التكتلات والاحلاف الإقليمية او الدولية، وهي نتيجة حتمية للصراع على النفوذ وتعظيم القوة.

- عملت منظمة شنغهاي للتعاون على طرح مفهوم جديد للأمن الإقليمي وطرح نموذج متميز في العلاقات بين الدول، والتعاون الإقليمي الذي يقوم على مبادئ الانفتاح وعدم الانحياز من خلال وضع أعضاء مراقبين من الممكن قبولهم كأعضاء اساسيين كما فعلت من الهند وباكستان وإيران.
- يتوقف تطور دور منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي على قدرتها في إحداث تغييرات، وتحولات في بنية النظام الدولي يقود الى توزيع جديد ونوعي للقوة فيه.
- تعد منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي خطوة في اتجاه تعزيز وعودة حالة التعددية القطبية في العالم نتيجة لالتقاء الجهود والمصالح، والرغبات الروسية والصينية المشتركة في كسر حالة القطبية العالمية السائدة حاليا والمتمثلة في الولايات المتحدة الامريكية.